مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة

العدد
12

أبريل - يونيو
2024م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية
د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية
أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية
د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية
د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية
د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية
أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا
أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر
أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب
د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية
أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر
أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز
أ.د. محمد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد بجامعة أم القرى
أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود
أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس
أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة
أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم
د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**أثر عاملي النفي والقصر على التحاجج في قصص القرآن الكريم - معجزة صالح عليه السلام أنموذجا** د. نوال بنت سعود بن صالح الفرهود	٩
٢)	**التعريف بضمير الرفع المنفصل في سورة الحشر مواقعه وأسراره البلاغية** د. منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني	٤٩
٣)	**خطاب المرأة المسلمة في الحديث النبوي في ضوء إستراتيجيات الخطاب** د. علاء دسوقي أحمد علي	٩٩
٤)	**مزاعم قصور اللغة العربية بين اللسانيات الشعبية واللسانيات العلمية -دراسة تحليلية نقدية لمفهوم الكمال اللغوي** أ. د. عزمي محمد حمود عيال سلمان	١٤١
٥)	**ملامح التعريف المعجمي عند الأصمعي (ت ٢١٦هـ)** د. منى بنت محمد الشمراني	١٩٣
٦)	**النسق الناسخ قراءة في نسق العصبيّة في شعر الفرزدق** د. صغيّر بن غريّب بن عبد الله العنزي	٢٤٥

م	البحث	الصفحة
٧)	**الْقَهْوَةُ وَالْمَقْهَى فِي شِعْرِ مَحْمُوْد دَرْوِيش (مُقَارَبَةٌ نَقْدِيّةٌ فِي ضَوْءِ نَظَرِيّةِ الِاتِّصَال)** د. نورة بنت سعد بن محمّد الشَّهراني	٣٠٧
٨)	**المجاز وتعدد النسق -دراسة تطبيقية في قصيدة (اللحن الحزين) لرهف المبارك** د. علي بن محسن مشعوف	٣٦١
٩)	**تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبد العزيز مشري -مقاربة في ضوء النقد البيئي** د. تهاني بنت قليل أحمد الجهني	٤٠٧
١٠)	**تقنياتُ السَّردِ وجمالياتُ غَزْلِ الذكريات في القصَّةِ القَصيْرةِ جدًا -مجموعة مَنْسِيَّة لشيمة الشمّري نموذجًا** د. وفاء أحمد جابر أحمد	٤٤٧
١١)	**سيميائية العنوان المركب في رواية (أرق النّار وقلق الماء حكاية مْرا ونصف لصالح بن رمضان)** د. عائشة بنت دالش بن حامد العنزي	٥٠١
١٢)	**قراءة تحليلية تقويمية للكتاب الثالث من سلسلة العربية للعالم في ضوء معايير إعداد كتب تعليم العربية لغة ثانية** د. مشاعل بنت ناصر آل كدم	٥٥٥

الْقَهْوَةُ وَالْمَقْهى فِي شِعْرِ مَحْمُوْد دَرْوِيش
(مُقَارَبَةٌ نَقْدِيّةٌ فِي ضَوْءِ نَظَرِيّةِ الِاتّصَال)

A Critical Study of Coffee and Café in Mahmoud Darwish's Poetry in Light of Communication Theory

د. نورة بنت سعد بن محمّد الشَّهراني

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية في جامعة بيشة

البريد الإلكتروني: naldrani@ub.edu.sa

الملخص

يُعد محمود درويش واحدًا من أبرز شعراء العربيّة المعاصرين؛ إذ مرّت تجربته الشعريّة بتحولات كبرى، جعلت منها مادةً أدبيّةً ثريّة للدراسات النقديّة في جوانب عدة. وقد شكّلت القهوة والمقهى إحدى العلامات المهيمنة في شعر محمود درويش، فكان هذا البحث؛ لتناولهما وفق نظرية الاتصال اللغويّة للكشف عن عناصر الاتصال في بنيتها الشعرية، وأبرز السياقات التي أسهمت في رؤية الشاعر التكوينية، وفي البنى النصيّة لنصوصه، وأهم الوظائف اللغويّة التي تضمّنتها، ومدى قدرة الشاعر على صناعة نصوص شعريّة للقهوة والمقهى ذات كفاية اتصاليّة عالية. وقد توصّل البحث إلى عددٍ من النتائج، أبرزها: تعدد السياقات غير اللغوية المؤثرة في بنية القهوة والمقهى في شعر الشاعر، وأنهما ذواتا بُعدٍ دلالي واسع تجاوز المعنى المعجمي إلى الآخر الشعري، وأنَّ درجة الاتصال بين الشاعر والمتلقين في نصوص القهوة والمقهى عالية، تجلّت في نمطين من التلقي: المباشر، وغير المباشر.

الكلمات المفتاحية: محمود درويش، القهوة، المقهى، نظرية الاتصال، الكفاية الاتصاليّة، الوظائف اللغوية.

Abstract

Mahmoud Darwish is one of the most prominent contemporary Arab poets. His poetic experience has gone through major transformations, which makes it the target for many critical studies in various aspects. Coffee and café have formed one of the dominant symbols in Darwish's poetry. Therefore, this research aims to discuss the representation of coffee and café according to the communication theory to identify the elements of communication in its poetic structure, the most significant contexts that contributed to the poet's formative vision, the textual structures of his texts, the key linguistic functions they encompassed, and the poet's ability to create highly communicative efficient poetic texts about coffee and the café. Using the analytical approach and communication theory, the study revealed some findings. The multiplicity of non-linguistic contexts influenced the structure of coffee and café in Darwish's work. Furthermore, the study indicated that coffee and café shared wide semantic dimension that transcends the lexicographical meaning to the poetic meaning. Finally, the analysis showed a high level of communication between the poet and the audience in the verses about coffee and café, manifested in direct and indirect reception.

Keywords: Café, coffee, communicative competence, communication theory, language functions, Mahmoud Darwish.

المقدمة

شغلت القهوة مساحةً واسعةً في الشعر العربي، منذ عصر ما قبل الإسلام إلى المعاصر؛ لما تحظى به من مكانة، ورمزيّة في ثقافته العربيّة. وتعدّدت طرائق الشعراء في ذكرهم للقهوة، فمنهم من وصفها، ومنهم من وصف أثر شربها في نفسه ومخيلته، ومنهم من وصف أدواتها، ومنهم من تغنّى بمكان تقديمها (المقهى)، وطرق إعدادها، وأدوات تحضيرها وتقديمها، ومواقيت شربها، وساقيها، ومؤثثات مكانها، ووصف مجالسها، وجلسائها، "وقد لعب الشعر دورًا مهمًّا في إشاعتها، وانتشارها في المجتمع باعتبارها مشروبًا طهورًا مباركًا له فوائد كثيرة"(١).

ومرّت القهوة دلاليًّا وبنائيًّا بتحولات عديدة في الشعرية العربيّة، وكانت تلك التحولات انعكاسًا للمتغيرات السياقيّة في الثقافة العربية تجاه القهوة: تسميتها، وإباحتها، وطرق تقديمها، ومواقيت شربها...(٢)، فتعدد حضور القهوة في الخطاب الشعري العربي، فمنه ما وصفها، ومنه ما حرّمها، ومنه ما ذكر محاسنها، ثم اتسعت

(١) مشهور عبد الرحمن الجباري، "شعر القهوة البن في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، دراسة موضوعية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع١، ٢٠٠٢م، ١٨٢، نقلًا عن: ماجد عدنان الأهدل، "ديوان القهوة شعر قهوة البن من القرن التاسع الهجري"، (دار صوفيا، الكويت، ٢٠٢٢م)، ٢٦. وصفها بالشراب الطهور والمبارك؛ لأن القهوة في بدايات انتشارها في هذه المرحلة كانت رفيقة العارفين في مجالس الصوفية، لأنها تعينهم على السهر، وبقاء ساعات الليل في تأمل، وعبادات، وقد ذُكر هذا كثيرًا في كتاب الأهدل.

(٢) يُذكر في عددٍ من المصادر أنَّ المتصوفة أول من سمّى القهوة بهذا الاسم، وأسهبوا في ذكرها في أشعارهم، للمزيد ينظر: ماجد عدنان الأهدل، "ديوان القهوة شعر قهوة البن من القرن التاسع الهجري"، ٥١ وما بعدها.

دائرة الوصف للقهوة في الشعر العربي؛ لاتساع حضورها في حياتهم، وكثرة شربها، وخروجها من بؤرة التحليل والتحريم التي أثيرت حولها في القرون الأولى.

والشاعر الفلسطيني محمود درويش من أبرز الشعراء المعاصرين الذين وظّفوا القهوة والمقاهي في شعرهم كثيرًا، حتى أصبحتا علامتين بارزتين في نصوصهم الشعريّة والنثريّة، وقد حمّلها الشاعر رسائلَ –اجتماعيّة، وسياسيّة، وإنسانيّة عامة– أراد إيصالها للعالم كله، والفلسطيني الذي يشاركه أكثر السياقات التكوينية المؤثرة في رؤيته الإنسانيّة والشعريّة خاصة. وقد لقيت نصوص القهوة، والمقهى في شعره تلقيًا واسعًا ومتنوعًا في الأوساط الشعبية؛ كل ذلك عزّز هذه الفكرة البحثيّة، وجاءت بعنوان: (القهوة والمقهى في شعر محمود درويش مقاربة نقديّة في ضوء نظرية الاتصال)؛ سعيًا للإجابة عن أبرز أسئلتها البحثيّة، ومنها:

- هل استطاع الشاعر توصيل رؤيته الشعرية للقهوة والمقاهي للمتلقي؟
- هل هناك ترابط بين السياقات التكوينية لشعريّة القهوة والمقهى في شعر الشاعر، ومقصديّة نصوصه اللغويّة؟
- ما الوسائل اللغوية التي استعان بها في صناعة المعنى الشعريّ، وإيصال رؤيته؟ وهل أسهمت في صناعة نص مفتوح التلقي، أم نص مغلق ذي كفاية اتصالية منخفضة؟
- بيان أثر وجود القارئ الداخلي في عملية التوصيل الأدبي للقارئ الخارجي.
- من أطراف الرسائل الأدبية في نصوص الشاعر؟ أو ما عناصر الاتصال؟ وما الوظائف اللغوية المهيمنة في النصوص؟
- كيف استقبل المتلقون نصوص القهوة والمقهى؟ وما إستراتيجياتهم في التلقي؟

وقام البحث على المنهج التحليلي المستعين بمعطيات نظرية الاتصال اللغويّة، ومعطياتها النقديّة؛ للكشف عن عناصر الاتصال في أبنية القهوة، والمقهى الشعريّة في كل دواوين الشاعر، وقد بدأ التحليل بالمرسل، ثم الرسالة، ثم المتلقي؛ لمعرفة الوظائف اللغوية التي استطاع الشاعر صناعتها في كل عنصر من هذه العناصر، والكشف عن الوظيفة المهيمنة بينها؛ للوصول إلى قياس -لغوي إجرائي- لدرجة التواصلية في نصوصه بحسب الكفاية الاتصالية لها.

ولما يحظى به شعر محمود درويش من مكانة أدبية؛ فقد تعاقبت عليه العديد من الدراسات التي تنوعت في الاتجاه، والأهداف، والمناهج، أما فيما تتقاطع مع هذا البحث فلم أجد -بعد البحث والاستقصاء- إلّا بحثين، ومقالة هي:

- القهوة وأبعادها الوجودية في شعر محمود درويش. مقالة مكونة من ٩٣٣ كلمة كتبها كريم الطيبي، نشرها في ١٠ أغسطس ٢٠١٦م في موقع ثقافات الشبكي التابع لوزارة الثقافة الأردنية.
- القهوة في شعر محمود درويش: دراسة دلالية. بحث مشترك لـ كشاورزي، كريم، وآخرون، منشور في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها عام ٢٠٢٠م، والبحث مكون من ٢٢ صفحة نشرت في العدد ٥٣ في تخصص الآداب.
- قصيدة سرحان يشرب القهوة لمحمود درويش: دراسة دلالية، مقالة علمية مكوّنة من ٣ صفحات. نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية في ماليزيا لـ د. نور الحنيلة عصمت.

والدراسات مع اختلاف منهجيتها عن هذا البحث، أو قصرها، فإنّها موضع عناية في هذا البحث، ودخلت ضمن مدونته في المبحث الأخير؛ لقياس الأثر والتلقي،

والارتداد العكسي لنصوص القهوة، والمقهى في التلقي غير المباشر.

وليحقق البحث أهدافه؛ قُسّم إلى تمهيد عن نظرية الاتصال (المفاهيم والمعطيات)، ثم ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تكوينية الرؤية وتشكّل السياق.
- المبحث الثاني: الرسالة الأدبية (البنى والوظائف والوسيلة).
- المبحث الثالث: المتلقي والارتداد العكسي.
- ثم خاتمة أوجزت فيها أبرز نتائج البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع.

التّمهيد: نظرية الاتصال المفاهيم والمعطيات:

نظرية الاتصال واحدة من الأسس، والإجراءات النقديّة اللسانية التي "تعتمد على معايير علمية دقيقة تبدأ من المبدع مرورًا بالنص عبر الوسيلة الاتصاليّة، ونهاية بالمتلقي وما ينتج عنه من نص عكسي ارتدادي"(١). وقد تفرّعت نظرية الاتصال من الثنائية التي أسس لها (سوسير) ثنائية اللغة والكلام، فاللغة بوصفها نظامًا من الإشارات والدوال داخل عقل المجموع، والكلام بوصفه استعمالًا شخصيًّا محسوسًا، وطبقًا لهذه الثنائيّة تتكون على مستوى الشّعريّة ثنائية الأدب/ الكلام الأدبيّ.(٢) ومن أبرز من أسس لعلاقة اللغة بعمليّة الاتصال (رومان جاكبسون)، الذي حدّد عناصر الاتصال اللغوي الستة، التي تبدأ من المرسل وتنتهي بالمرسل إليه، على النحو الآتي:

		سياق		
مُرْسِـل	-----	رسالة	----	مُرْسَل إليه
		اتّصال		

وحدّد الوظائف السّت الأساسيّة للتواصل اللفظي بحسب عناصر الاتصال السِّتة في الخطاطة الآتية:

	مرجعيّة	
انفعاليّة	شعريّة	إفهاميّة

(١) مراد مبروك، "من صوت الذات إلى سلطة النص"، (أروقة للدراسات والترجمة، القاهرة/ نادي نجران الأدبي، ط١، ٢٠١٤م)، ١٥.

(٢) ينظر: توفيق الزيدي، "أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث"، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م)، ٤١.

فالوظيفة الانفعاليّة أو التعبيريّة تركّز على المُرسِل، وتعبّر مباشرة عن موقف المتكلّم تجاه ما يتحدّث عنه، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع. أما إن كان التّوجه نحو المرسَل إليه هيمنت الوظيفة الإفهاميّة وتتجسّد في البناء التركيبي الذي يغلب عليه النداء، والأمر والاستفهام. وهناك رسائل تُوظّف في الجوهر لإقامة التواصل وتمديده، أو فصمه، وتُوظّف للتأكّد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل، أو لإثارة انتباه المخاطب، والتأكد من أنّ انتباهه لم يرتخِ فإنّ الاتصال في هذه الحالة يركز على الوظيفة الانتباهيّة. أما إذا كان الاتصال مركّزًا على السنن، فإنّه يَشْغَل وظيفة ميتالسانية، أو وظيفة الشّرح، مثال ذلك أن يتساءل المرسل إليه "ما تقول؟ إنني لا أفهمك..."، فالوظيفة هنا تخص السنن المعجميّة، وتكثر هذه الوظيفة في مرحلة اكتساب الطفل للغة الأم[١]، فارتبطت نظرية الاتصال اللغوية بالكفاية، أو الكفاية الاتصالية، وهي القدرة على استعمال اللغة في تفاعل اجتماعي يوائم بين المنطوقات، والمقاصد، وسياق الاتصال.[٢]

والصلة قوية بين نظرية الاتصال، ونظرية التلقي بمفاهيمها ومعطياتها التي تنبع بين طرفيها: المبدع والمتلقي، ومفهوم أفق التوقع الذي يبنيه المتلقي، الذي يعد أبرز مقاييس أثر الأعمال، واتصالها في طرف الإبداع الثاني المتلقي[٣] ، والوظيفة التواصلية للأدب حاضرة في طرح نقّادها؛ إذ "أنهى كل من (إيزر) و(ياوس) أفكاره النظرية الخاصة بالاستجابة، أو التّلقي بفقرات عن الاتصال. والاتصال الذي يرتبط به التلقي هنا هو

(١) رومان جاكبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، "قضايا الشعرية"، (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨م)، ٢٧-٣١بتصرّف.

(٢) ينظر: مراد مبروك، "من صوت الذات إلى سلطة النص"، ٢١- ٢٢.

(٣) ينظر: روبرت هولب، تر: عز الدين إسماعيل، "نظرية التلقي"، (نادي جدة الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٩٤م)، ١٦.

الاتصال الأدبي على وجه التحديد، وهو ما عرّفه (إيزر) بأنّه نشاط مشترك بين القارئ والنّص، يؤثر فيه كل منهما في الآخر، في عملية تنتظم من تلقاء ذاتها"(١).

فانطلقت نظرية الاتصال من هذه المعطيات، ثم أضافت على بُعد التفاعل بين القارئ والنص ثلاثة أبعاد، هي: بُعد المؤلف، وبُعد الوسيلة الاتصالية، وبُعد الارتداد العكسي؛ لتتشكّل أركان نظرية الاتصال الأدبي الخمسة، وهي:

المؤلف أو المرسل: ويُنظر إليه من زاوية الرؤية التكوينية له التي تتشكل من كافة السياقات غير النصيّة التي صنعت وعيه، والزاوية الأخرى هي علاقة الذات المبدعة بالموضوع، أو النص الإبداعي.

- النص: ويُنظر إليه من خلال ثلاثة أبعاد: الخاصية النّصية، التفاعل النّصي، البنية النصيّة.
- وسيلة الاتصال: وهي القناة التي تساعد على توصيل الرسالة النصيّة من المرسل إلى المتلقي.
- القارئ، أو المرسل إليه: وينظر إليه من خلال دوره، أو نوعه (قصديًّا، أو ضمنيًّا)، وإستراتيجية القراءة، وإستراتيجية الاتصال.
- الارتداد العكسي: ويتولّد من خلال مستويين: المباشر للبنية السطحية، وغير المباشر للبنية العميقة.(٢).

(١) روبرت هولب، "نظرية التلقي"، ٢١.

(٢) ينظر: مراد مبروك، "من صوت الذات إلى سلطة النص"، ٤٦-٤٧.

المبحث الأول: تكوينية الرؤية وتشكّل السياق

إنَّ النص الأدبيّ من منظور النقاد الألسنيين ليس هو موضوع الشعريّة، وإنّما موضوعها هو الوقوف على الخصائص النوعيّة للخطاب الأدبيّ، وهي ليست علمًا بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن، أي تهتم بالخصائص المجرّدة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبيّة[١]، وهي نتيجة تفاعل دلالي، ودالي بين البنية السطحية اللغوية للنص، وبنى عميقة سياقية تحيط به، "وقد ارتكز (تودوروف) في بلورته لهذه النمذجة على ما سماه العناصر الأربعة المشكّلة للمسار الأدبي: المؤلف، القارئ، العمل، العالم، كما ركّز على استخلاص درجة التأثير الذي أحدثته كل نظريّة على أحد تلك العناصر"[٢]، فـ"لكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقًا تحيل عليه وهو ما يُدعى أيضا المرجع"[٣].

وللكشف عن رؤية الشاعر الشعرية للقهوة والمقهى في تجربة محمود درويش، نقف على الأبعاد السياقية غير اللغوية التي شكّلت رؤيته التكوينية لها، وهي كما حدّدها (فان دايك) "مجموعة لامتناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع أحدنا أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة، ويتحدد السياق الواقعي بفترة من الزمان والمكان"[٤] والسياق عنده هو الموقف، أو البيئة الاجتماعيّة، والطريقة التي يفهم بها الناس بيئتهم الاجتماعيّة،

(١) ينظر: مراد مبروك، "من صوت الذات إلى سلطة النص"، ٢٤.

(٢) تزفيطان تودروف، تر: عبد الرحمن بو علي، "نظريّة الأجناس الأدبيّة دراسة في التناص والكتابة والنقد"، (دمشق، دار نينوى، ٢٠١٦م)، ١١٥.

(٣) رومان جاكبسون، "قضايا الشعرية"، ١١.

(٤) فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، "النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، (أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م)، ٢٥٨.

تحدّد سياق خطاباتهم، وممارساتهم الاجتماعية بوساطة ما يُسمّى بالنماذج الذهنيّة(١).

ولأنَّ التواصل الأدبي شكلٌ من أشكال تطوير التواصل اللغوي الاجتماعي، ودلالات كلماته تُبنى من تضافر العلاقات اللغوية والسياقية التي تشكل القصديّة(٢)؛ فإنَّ قراءة فاعلية الاتصال في نصوص درويش التي وظفت القهوة والمقهى فيها، تنطلق أولًا من رؤيته الإبداعية لها، ومن ثَمَّ التركيز على البنية المتوسطة، التي لا تنفك عن منشئها الاجتماعي بكل مكوناته، فهي "بنية فكرية تتمثل في رؤية للعالم تتوسط ما بين الأساس الاجتماعي الطبقي الذي تصدر عنه، والأنساق الأدبية والفنيّة والفكرية التي تحكمها هذه الرؤية وتولّدها"(٣)، ومصطلح المبدع أعم وأدق في هذا السياق من المؤلف؛ إذ يمكن أن يكون المبدع مؤلفًا وليس العكس، فالمؤلف من يقوم بعملية التأليف، والجمع بين المتفرقة. في حين أن المتكلّم فهو من صنع المبدع في نصه الأدبي، يظهر بصفة الأنا المتحدثة في النص الأدبي التي من خلالها يعبر المبدع عمّا يريد، فهو تابع للمبدع، وقد يكون المبدع متكلمًا، وليس العكس(٤).

فالعمل الأدبي ليس ذاتيًّا خالصًا، فردانيًّا، بل هو انعكاس للسياقات المحيطة به من الدين، والسياسة، والمجتمع، والثقافة، والحضارة التي ينتمي لها، فالنَّص –على حد قول إدوارد سعيد– له أبٌ شرعيٌّ أكبر بكثير من المبدع، وأشمل رعاية من جميع الأطراف التي تحيط به، وهو العالم المحيط المكوّن من مختلف المؤسسات الاجتماعية، ومنها

(١) ينظر: نبيل أيوب، "النقد النّصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات"، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١١م)، ٢٣٧–٢٣٨.

(٢) ينظر: صالح رمضان، "التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية"، (المركز الثقافي العربي/ نادي الرياض الأدبي، الدار البيضاء/ الرياض، ط١، ٢٠١٥م)، ١٣، ١٨٦. بتصرّف.

(٣) جابر عصفور، "نظريات معاصرة"، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م)، ١٠٨.

(٤) أسماء معيكل، "الأفق المفتوح نظرية التوصيل الروائي المعاصر"، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣م)، ٢١.

السياسية كما رأى (فوكو)[١].

ومحمود درويش كغيره من الأدباء يبني رؤيته الأدبية بخصوصية رؤيوية وبنائية، مادتها الأولى السياقات المحيطة به. هذه السياقات المشتركة بين المبدع، والمرسل إليه المتلقي الأول في محيط المبدع كانت أول بواعث الإبداع الشعري عنده، ومحفزات الاتصال لديه، فالاتصال يرتبط بعملية التفاعل الإنساني، ويتأثر بجميع العوامل والمؤثرات والمتغيرات التي تتعرض لها عملية التفاعل تلك[٢]، وهي تمثّل آليات، ووسائل تأويلية تعينه على استقبال رسالة المرسل الأدبية. وهي التي تشكّل أسلوبيّته الشعريّة؛ "لأن الأسلوب يخضع لمقتضيات السياق المقامي"[٣]، ومن أبرز السياقات التي أسهمت في تشكل البُنى، والدلالات الأدبية للقهوة والمقهى في شعره: السياق الاجتماعي، والسياق السياسي، والسياق الثقافي.

- السياق الاجتماعي:

محمود درويش ابن فلسطين، المولود سنة ١٩٤٢م، وهو الابن الثاني لأسرة تتكون من ثمانية أبناء، الابن الأكبر فيها هو أحمد، وكان مهتمًّا بالأدب، والكتابة الأدبية، وعنه أخذ محمود بدايات اهتمامه بالأدب، ولا يوجد من يهتم بالأدب في الأسرة غيرهما، فالأب فلاح يمتلك أراضيَ في قرية البروة، والأم لا تقرأ، ولا تكتب، والدها مختار قرية

(١) ينظر: إدوارد سعيد، تر: محمد عصفور، "العالم والنّص والناقد"، (دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠١٧م)، ١١، ١٢.

(٢) ينظر: جودت شاكر محمود، "الاتصال في علم النفس"، (دار صفاء، عمان، ط١، ١٤٣٤هـ)، ٣٠.

(٣) مصطفى لطفي، "اللغة العربية في إطارها الاجتماعي"، (بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦م)، ٥١.

الدامون[١].

شهد درويش أحداث الاحتلال منذ بدايات طفولته، ففي عام ١٩٤٨م حلّت المأساة على قريته الصغيرة (البروة)، ووصفها قائلًا: "**وكان عمري يومها ست سنوات... يخيّل إليّ أنَّ تلك الليلة وضعت حدًّا لطفولتي بمنتهى العنف، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت. وأحسست فجأة أنّني أنتمي إلى الكبار**"[٢]، ثم هدمها اليهود لاحقًا وهو في السجن، وهو يعيش حياة مليئة بالمتاعب المادية، والتّمزق المعنوي[٣]، وقد جاء بعدها محمود درويش برؤيته، وأدواته الشعرية الجديدة، معبرًا عن كل تلك الأبعاد، والمعاني بأسلوبه الشعري الخاص، فهو القائل: "**إنني أبحث في الأنقاض عن ضوء وعن شعر جديد**"[٤]، فكان صوته الشعري واحدًا من أجمل الأصوات الشعرية في المرحلة الجديدة في الشعر الثوري، سماها رجاء النقاش (مرحلة الأمل والتفاؤل والتمرّد والثورة)[٥].

هذه التنشئة والظروف الاجتماعية التي عاشها، والتي تشبه حياة الكثير من الفلسطينيين، أسهمت في إعطاء نصوصه الشعرية سلطة الحياة والبقاء؛ لأنها نابعة من تجارب مشتركة في الوعي الجمعي الفلسطيني، وتعبّر عن صوته الثوري والإنساني؛ فاللغة -كما يعرّفها (سوسير)- "إنتاج اجتماعي لقوى الكلام"[٦]، فاللغة الشعرية تتكيف مع المواقف، والمعطيات الاجتماعيّة، وتُعبّر عنها بذاتية أدبية، وقد اتّخذ درويش من القهوة،

(١) ينظر: رجاء النقاش، "محمود درويش شاعر الأرض المحتلة"، (أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط١، ٢٠١١م)، ١٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ٩٩.

(٣) المرجع نفسه، ٩١.

(٤) المرجع نفسه، ٨٣

(٥) المرجع السابق، ٨٩

(٦) فرديناند دي سوسير، تر: عبد القادر قنيني، "محاضرات في علم اللسان"، (أفريقيا الشرق، المغرب، ط٣، ٢٠١٦م)، ٢٣.

والمقهى في العديد من نصوصه وسيلة لغوية، ورمزًا يعكس فلسطين الوطن، بكل ما فيه من تعدد أديان، وما يقاسي من احتلال، وفقد، وحنين؛ باعتبار القهوة واحدة من أبرز مكونات هُويته، وأدوات اتصال الأنا بالآخر، ففي لحظات شرب القهوة، والاجتماع ببعض أطياف المجتمع الفلسطيني في المقهى يُتاح للشاعر تصوير الهم الفلسطيني، ورؤيته لأوضاع مجتمعه، ومن شواهد ذلك قصيدة (سرحان يشرب قهوة في الكافتيريا)، إذ قال(١):

ونافذتان على البحر يا وطني تحذفان المنافي.. وأرجع
(حلم قديم–جديد)
شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني
وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان).
ورائحةُ البُنِّ جغرافيا
ورائحة البن يدْ
ورائحة البن صوت ينادي.. ويأخذ
رائحة البن صوت ومئذنة (ذات يوم تعود).
ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب ينكمش
الماء يوماً ويبقى الصدى .
وسرحان يحمل أرصفةً ونواديْ ومكتبَ حجز التذاكر
سرحان يعرف أكثر من لغة وفتاه. ويحمل تأشيرة
لدخول المحيط وتأشيرة للخروج ولكنّ سرحانَ

(١) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ٢، ديوان أحبك ولا أحبك"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م)، ٩٥.

قطرة دم تفتّش عن جبهة نزفتها.. وسرحان
قطرة دم تفتّش عن جثة نسيتها.. وأين؟
ولست شريداً.. ولست شهيداً
ورائحة البن جغرافيا.
وسرحان يشرب قهوته ..
ويضيع

سرحان في هذا النص تتحوّل هويته الفرديّة إلى جماعية، فهو رمز معادل لكل فلسطيني يرجو السلام، والاستقرار الاجتماعي في وطنه، بعيدًا عن قلق التشرد، والشهادة التي يقاومها برائحة البن التي أصبحت في هذا النص معادلًا موضوعيًّا لكل معاني الحياة الآمنة المستقرة، فرائحة البن تعادل جغرافيا/ وطن له هويته الواضحة في جغرافية الأرض، وأيضًا هي يد/ أمان وتكاتف اجتماعي؛ لأن القهوة رمز للضيافة الفلسطينية، وهي أيضًا صوت/ أحاديث تجمع الأنا مع الآخر أثناء شرب القهوة، وهي أيضًا صوت مئذنة/ الهوية الإسلامية لفلسطين، وهي أيضًا ناي/ صوت الحياة التي يحلم بها الفلسطيني، لكنّ هذا البُن بكل هذه المعاني يشربها سرحان "سرحان يشرب قهوته" فيضيع! وهذا التناقض يعكس الصراع الذي يحيا فيه المواطن الفلسطيني.

فالأنا الفلسطينية في نصوص القهوة والمقهى تمثل الكل، والهم الفلسطيني؛ إذ يجد في المقهى مكانًا يجمع هموم، وآلام ولحمة الشعب في لحظات شرب القهوة، لحظات المتنفس لهم، فقال[1]:

مقهى وأنت مع الجريدة جالسٌ
لا. لست وحدك. نصف كأسك فارغٌ

(١) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد، قصيدة مقهى وأنت مع الجريدة"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م)، ٢٥.

والشّمس تملأ نصفها الثاني ...
ومن خلف الزجاج ترى المشاة المسرعين
ولا تُرى ولكن لا تُرى
كم أنت حرٌّ أيها المنسي في المقهى!
فلا أحد يرى أثر الكمنجة فيك،
لا أحدٌ يحملق في حضورك أو غيابك
...
في الركن منسيًّا، فلا أحد يُهين
مزاجك الصّافي
ولا أحد يفكّر باغتيالك
كم أنت منسيٌ وحرٌّ في خيالك

فالمقهى في هذا النص، أحد محطات الخلوة التي يجلس فيها الفلسطيني خارج بلاده، وأحد منتديات الحوار، وإثبات الذات الفلسطينية بهويتها، وحقوقها، وآلامها. ويجسّد الشاعر معنى الوحدة، والوحشة التي فرضها عليه الواقع السياسي على وطنه، والتي لا تشبه هويته العربية الفلسطينية الاجتماعية بطبعها، والتي ألفت شرب القهوة في أجواء جماعية، مليئة بالأحاديث، والسؤال عن الأحوال الشخصية، فأصبح المقهى في الغربة يحمل المعاني المباينة لها: "**أيها المنسي في المقهى، لا أحد يرى، لا أحد يحملق، لا أحد يهين مزاجك**"، ثم يصور الصراع الذي يعيشه في هذا المقهى بين الحاجة للوطن، والشعور بالحنين له، وبين الأمان، والحرية: "**لا أحد يفكر باغتيالك، كم أنت منسيٌّ وحر في خيالك**".

وقد كرر هذه المعاني، وجعل من المقهى بمؤثثاته رموزًا لتجسيد معنى الغربة، أو

الفقد الذي فُرض على المجتمع الفلسطيني، فقال[١]:

لم يشعر بنقصٍ في المكان،
المقعد الخشبي، قهوته، وكأس الماء
والغرباء، والأشياء في المقهى
كما هي،

وفي أبنية تصويرية أخرى صوّر تفاصيل المدينة الفلسطينية، ورموز هويتها المعيشية، وكان المقهى واحدًا من أبرز معالمها، وأماكنها العامة الأساسية في بنية المجتمع اليومية، فقال[٢]:

لنا شارع ههنا
وبريدٌ
وبائع خبزٍ
ومغسلة ثياب
وحانوت تبغٍ وخمر
وركن صغير
ورائحة تتذكّر/
ها نحن نشرب قهوتنا بهدوءٍ أميرين
لا يملكان الطواويس، أنتِ أميرة نفسكِ

بل إنّ القهوة في بعض نصوصه رمز التآخي، والتآلف الاجتماعي في فلسطين، فالقهوة تجمع الفلسطينيين في لقاءاتهم، وجلساتهم الاجتماعية، رغم الموت المحيط بهم؛

(١) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد، قصيدة لم ينتظر أحدًا"، ٣٣.
(٢) محمود درويش، "ديوان لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٩م)، ٦٩.

إذ قال في قصيدة (اللقاء الأخير في روما)[١]:

"ستقتلني كي يعود العدو إلى
بيته/ بيتنا وتعود إلى لعبة الكهف ماذا صنعتَ بقهوة أمي
وأمك؟ ماذا جنيت لتغتالني يا أخي".
صباح الخير يا ماجد
صباح الخير والأبيض
قم اشرب قهوتي. وانهض
فإنَّ جنازتي وصلت. وروما كالمسدس

فالقهوة في العديد من نصوص درويش مرتبطة بالأم، وشعور الأمان، والتآخي الذي يمنحه وجودها كقوله[٢]:

وأشياء أمي الصغيرة
رائحة البن في ثوبها حين تفتح باب النهار لسرب الدجاج

وفي نص آخر وظف القهوة رمزًا؛ لتصوير تعدد الأديان في المجتمع الفلسطيني، وطبيعة الحياة التي يحياها بين المقاومة للاحتلال، وهدنة السلام المؤقتة التي يسترق لحظاتها؛ لينعم بشرب قهوته، فقال في قصيدة (في البيت أجلس)[٣]:

كسلٌ خفيف الوزن يطهو قهوتي
والهال يصهل في الهواء وفي الجسد

(١) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ٢، حصار لمدائح البحر"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م)، ٩٥.

(٢) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ٣، هي أغنية هي أغنية"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م)، ٣٩.

(٣) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد"، ٥١-٥٢.

وكأنني وحدي أنا هو وأنا الثاني
رآني واطمأن على نهاري وابتعد
يوم الأحد
هو أول الأيام في التوراة، لكنَّ
الزمان يغير العادات: إذ يرتاح
رب الحرب في يوم الأحد

فأحسن الشاعر توظيف تلك المكونات الاجتماعيّة للمجتمع الفلسطيني في رفع الكفاية التواصليّة لنصوصه التي وظف فيها القهوة والمقهى؛ إذ رفع من مستوى التوافق بين النص الأدبي المرسل، الذي عدّه صوت الشعب الفلسطيني، وبين سياقاته الاجتماعيّة الحاضنة له، والمعينة على فهم أبعاد رسالته الشعريّة.

- **السياق السياسي:**

المكون السياسي واحد من أبرز المكونات للأبعاد الاتصاليّة في نصوص درويش الموظّفة للقهوة والمقهى، فمحمود درويش لم يظهر فجأةً، ولم تظهر مدرسته الشعرية بلا مقدمات، بل يرتبط بحركة النضال الفلسطيني التي تمتد جذورها إلى جيلين: جيل المقاومة عام ١٩٣٦م، وجيل الموجة الثورية ١٩٤٨م، حتى لُقِّب بشاعر القضية الفلسطينية. اتّخذ من شعره وسيلةً؛ لنقل صوت المقاومة؛ فبعض أشعاره كانت تترجم إلى العبرية، مما يثير هجوم بعض النقاد اليهود، فكان درويش على وعي تام بأهمية الأدب بوصفه وسيلة احتجاج[١]؛ إذ قال: "**إنهم يخافون مضمون هذا الأدب. ويدركون أن وصول هذا الأدب إلى الجمهور اليهودي سيحطّم حواجز. فالأدب العربي هنا هو أدب احتجاج على وضع غير عادل**"[٢].

(١) رجاء النقاش، "محمود درويش شاعر الأرض المحتلة"، ١١٣.
(٢) المرجع نفسه.

ولم يكتفِ بتسجيل الرؤية الشعرية، وتصوير الرفض والمقاومة للاحتلال الصهيوني، بل يحاول أن يرى انعكاساتها على الواقع الإنساني، فمعظم ما صدر من شعراء فلسطين بعد هذا التاريخ هو صدى الجرح، وتعبير عن المأساة، وتصوير للتشتت الذي أصاب الفلسطينيين(١).

حتى أصبح رفض الاحتلال بؤرة مركزيّة في تجربته الشعريّة يدور في فلكها أكثر شعره، ومنها شعرية المقاهي والقهوة، التي وظفها وسيلةً لإيصال معاني سطوة الاحتلال، وما جرّه من فقد للأهل، أو الأرض، ووحشة المنفى أو السجن التي فرضها عليهم، ومنها قصيدته (إلى أمي)(٢):

أحنُّ إلى خبز أُمي
وقهوةِ أُمي
ولمسةِ أمي....
وتكبرُ فيّ الطفولةُ
يوماً على صدر يومِ
وأعشق عمري لأني
إذا مُتُّ،
أخجل من دمع أُمي!

فوظّف الشاعر التداعي الحر في تسجيله بعض مشاهد الحياة اليوميّة الصباحيّة لحياته التي تشبه حيوات أكثر أفراد شعبه، أهم عناصرها الأم والاستمتاع بعطائها الحسي والمعنوي، فقرن بين رموز الحياة، والعيش الأساسية وبين القهوة؛ للتعبير عن القضيّة

(١) ينظر: المرجع نفسه، ٤٧– ٥٤ –٨١ بتصرّف.

(٢) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ١"، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٩م ديوان عاشق من فلسطين"، ١٠٦.

الأساسيّة، وتجسيد شعور الحنين الذي يشبه مشاعر كثير من أفراد مجتمعه، فأجاد فهم السياق الاجتماعي لذاته، ولأفراد شعبه، ثم واءم بين رسالته الأدبيّة، والسياق المحيط به فأعلى من درجة الكفاية التواصلية.

وفي سياق آخر، صوّر الهدف والحلم العربي الفلسطيني (السلام)، والتحرير من الاحتلال الذي ينتشر في أرجاء الوطن، ويهيمن على تفاصيل مجتمعه، واختار القهوة العربية الرمز الفني الذي يجعل من رائحتها المنتشرة في الأفق تعبيرًا عن الهوية العربية – مجازًا عن الجزء فلسطين– التي لن تنسلخ، أو تُطمس بفعل الاحتلال، فقال[1]:

لنا حلمٌ واحدٌ: أن يمر الهواء

صديقًا، وينشر رائحة القهوة العربية

فوق التلال المحيطة بالصيف والغرباء ...

وفي كثير من نصوصه ينقل للمتلقي رؤيته الخاصة للمقاهي في البلدان التي عاش فيها بعيدًا عن وطنه؛ ويرى من خلالها أبعادًا سياسيّة، وإنسانيّة واسعةً بعينه الفلسطينيّة، فيصف مقاهي باريس، التي تستثير في خياله صورًا، ومعانيَ لوطنه التي صنعها الاحتلال، أو حرمها منها، فيقارن بين مقابر الشهداء الفلسطينيين في وطنه، والمقابر في باريس[2]:

للمقابر هيبة الهواء وسطوة الهباء تشيع

صديقك ممدوح، وتنتظر دورك ...

إلى أن قال:

فمنها ما يبدو لك أنه راحة النائم. ومنها

(١) محمود درويش، "الأعمال الجديدة الكاملة ١، ديوان لماذا تركت الحصان وحيدًا"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٩م)، ٣٢٥.

(٢) محمود درويش، "ديوان أثر الفراشة، يوميات"، (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠٠٩م)، ١٤٣.

ما يحرم النائم من التطلع إلى سمائه
المدفونة. ومنها، كالمحاذية لساحة التروكاديرو
في باريس، ما يجعل النائم جزءًا من وتيرة
الحياة. فهو قريب من المقاهي والمتاحف
ومواعيد الأحياء، الحياة في متناول قبره
الرخامي. وحوله من تنوع الزهر والشّجر

فقبر الشهيد في وطنه محاط بالصمت، والفراغ، والخواء، وهو سلسلة لقبور لا متناهيّة، أما القبور في باريس محاطة بالحياة، والصخب. ووظف المقاهي جزءًا من وتيرة الحياة المستمرة التي تصل بين مكان الموتى (القبور)، والأحياء من حولهم، وهو ما يفتقده الفلسطيني، وأيضًا في مقاهي باريس قال[١]:

في حانوت خبز، على ناصية شارع باريسي
ضيّقٌ ... أحتسي قهوتي الأولى صباحًا
تختلط رائحة الخبز برائحة القهوة، وتوقظان
فيَّ شهيّة على حياة طازجة.. حياة

فالمقاهي الباريسيّة التي أصبحت خيارًا مفروضًا عليه –بسبب النفي، أو رحلة الاغتراب في بناء الذات– تختلف عن المقاهي الفلسطينيّة التي تُثير الجلوس فيها الحنين، وشعور الفقد لبعض مرتاديها الذين غيبهم الاحتلال، ففي باريس المقاهي ملأى بالتفاصيل، وتثير في جالسيها الحياة، فأراد أن يوصل لمتلقي نصه –لا سيما الفلسطيني الذي يُعدّ المتلقي الضمني لأكثر نصوصه– هذه الصورة لمقاهي باريس، المفارقة لبعض مقاهي وطنه التي أصبحت محاطة بالموت والفقد.

(١) محمود درويش، "ديوان أثر الفراشة"، ٢٦٠-٢٦١.

- **السياق الثقافي:**

أسهمت المكونات الثقافية في هويّة درويش الإنسانيّة، والأدبيّة، في تحديد موقفه تجاه الحياة، وما فيها من قضايا، ومن أبرزها قضية الاحتلال لوطنه فلسطين، وقد تشكّل ذلك البعد الثقافي في شخصيته بفضل عوامل عدة، ظهرت في تحولات رؤياه الشعريّة القوميّة، والوطنيّة، والأدبيّة، والذاتيّة، والوجوديّة أحيانًا، فشكّلت قنوات اتصال بينه وبين المتلقي لكل تلك الأبعاد، والمهتم بها. وقد عزّز هذا الاتصال في شعره كثيرًا من خلال التوظيف الرمزي لرموز المؤثرات التي صنعت السياق الثقافي في نصوصه الشعرية المصوّرة للقهوة أو المقهى، ويمكن إجمال تلك المؤثرات في الآتي:

- الموروث الشعبي الفلسطيني، والاتصال المباشر بالشعب، وهمومه، والوعي بتنوع عناصره البنائية.
- المعرفة الأدبيّة، والصلات الفنية بأبرز شعراء العرب المعاصرين، وتأثره بالشعر الجديد وأعلامه.
- عمله وكتابته في عدة منظمات تحرير، والاعتقالات المتكررة له، وسفره لعدة دول عربية وغيرها.

تلاقت هذه المؤثرات في شخصيته، وفكره، ورؤيته؛ فأسهمت في الإثراء اللغوي والثقافي في شعرية القهوة والمقهى التي عكست رؤيته، ومن تلك تصويره لأحد مقاهي القاهرة في النيل، وتوظيفه لنجيب محفوظ أشهر رموز الأدب العربي عامة، والمصري خاصة، الذي تميّز في اتجاهه الواقعي الاجتماعي، فجاء توظيفه في سياق مقهى المركب متماهيًا مع الأبعاد الدلاليّة التي أرادها الشاعر، فقال في قصيدة (في مركب على النيل)[1]:

(١) محمود درويش، "ديوان أثر الفراشة"، ٢٤٠.

مركب على النيل يوم الثلاثاء قهوة
وشاي ودخان سجائر وكلام عن الدنيا
التي لا نعرف غيرها أما ما يتخيله كل
واحد من المتحلقين حول نجيب محفوظ عما
وراء الدنيا، فيتقاسمه سرًّا مع طيور
تحلق فوق نهر الأبدية، وهو هو

وفي سياق آخر صوّر مقاهي بيروت، ووظّف أحد رموزها الثقافيّة والأدبية (أنسي الحاج) الذي يعدّ أحد رموز الحداثة الشعريّة، التي تأثر بهم درويش في دواوينه الثلاثة الأخيرة، "إنه يصل إلى القدرة على (الإيحاء) وهذه القدرة الفنيّة تحل محل التعبير المباشر"(١)، فقال في قصيدة (في بيروت)(٢):

ترقى إلى شرف العبث. بيروت محرومة
من نسيان جرحها، ومحرومة من تذكّر
غدها المتروك لرمية نرد في لعبة بلا
قواعد، كتجريبية شعر ما بعد الحداثة
في مقاهيها الخالية من الرواد. لا أحد
يربح والكل خاسر حتى لو قال صديقي
أنسي الحاج "والرابح يخسر والخاسر
يربح" بيروت الحزينة تخذّر حزنها

فاستخدم المقاهي في بيروت مكانًا رمزيًّا للتعبير عن حالة العبث، والشتات والحزن

(١) رجاء النقاش، "محمود درويش شاعر الأرض المحتلة"، ١٣٥.
(٢) محمود درويش، "ديوان أثر الفراشة"، ٢٦٣.

التي يعيشها المجتمع بعد الحرب، والنكبات، فكانت المقاهي الخالية من الرواد انعكاسًا لها، وشاهدًا على تلاشي معنى الحياة الآمنة فيها.

ومن أكثر المؤثرات في تكوين ثقافته الشعريّة عامة، وبواعث التصوير للقهوة والمقهى في شعره الأبعاد المجتمعيّة، والهويّة الفلسطينية الخاصة بكل عناصرها: الدينية، والمعيشية، والحضارية، والشعبية...، ومن ذلك إحدى صوره التي جسّد فيها هموم شعبه، وقضاياه، التي يريد من خلالها رسالةً تصل إلى المتلقين في كل العالم –لا سيما أصحاب السلطة، والقرار السياسي في حل قضيّة وطنه– جاعلًا من القهوة الصباحيّة أولى عتبات تلك المطالب، رمزًا للسكينة والأمان التي افتقدها شعبه؛ ليرفع من درجة الكفاية الاتصاليّة لرسالته الأدبيّة، فقال في قصيدة (نزل على البحر)[1]:

ونريد أن نحيا قليلًا لا لشيء
بل لنرحل من جديد
لا شيء من أسلافنا فينا ولكنّا نريد
بلاد قهوتنا الصباحيّة
ونريد رائحة النباتات البدائية
ونريد مقبرة خصوصية
ونريد حريّة

وفي صورة أخرى أراد إيصال أقسى معاني الدمويّة التي بثّها الاحتلال في أرجاء وطنه، وقلوب شعبه فقال في قصيدة (سنة أخرى فقط)[2]:

فلنا حق بأن نحتسي القهوة بالسكر لا بالدم
أن نسمع أصوات يدينا وهما تستدرجان الخجل الباكي

(١) محمود درويش، الديوان، الأعمال الأولى ٣، ديوان "هي أغنية هي أغنية"، ٢٤.
(٢) محمود درويش، الديوان، الأعمال الأولى ٢، "حصار لمدائح البحر"، ٤٩٥.

وفي سياق آخر صوّر في قصيدة (مأساة النرجس ملهاة الفضة) تعدد الأديان في وطنه، التي كان يرجو أن تكون وسيلة لتعدد الآراء، وقبول الفلسطيني المتعدد بهوياته المختلفة أمام الآخر الذي لا يستجيب لنداءاته، فقال(١):

من فِضّة الملهاة، كانوا يسألون ويسألون:
ماذا سنحلم حين نعلم أن مريمَ امرأة؟
كانوا يشمّون الحشائش وهي تفتح في الجدار ربيعها وجروحهم
وتعيدهم في كل منفى. لسعة القُراص تشبه لسعة الأفعى
ورائحة الحبق
هي قهوة المنفيّ.. ممشى للعواطف حين تمشي في منازلها...
وصلنا!

فلم تلقَ الهويات الفلسطينية باختلافاتها العقائدية، واتّحادها الشعبي ومطالبها بالحريّة من الاحتلال إلا السخريّة، والرفض، فكانت النتيجة "**قهوة المنفى**".

وعليه، يظهر أنَّ السياقات غير اللغويّة –خارج النص– أسهمت في صناعة البنية اللغوية لنصوصه، ورؤيته الشعرية الخاصة للقهوة والمقهى، فعكست تلك السياقات من جهة، ورفعت درجة الكفاية الاتصالية بينه وبين المحيط الاجتماعي، والسياسي، والثقافي من جهة أخرى.

(١) محمود درويش، الديوان، الأعمال الأولى ٣، ديوان "أرى ما أريد"، ٢١٩–٢٢٢.

المبحث الثاني: الرسالة الأدبية (البنى، والوظائف، والوسيلة)

إن المتأمل والفاحص لدواوين محمود درويش يرى أن القهوة والمقهى شكّلا علامة مهيمنة في رسالته الأدبيّة، وأحسن توظيفهما في بناء سياق لغوي، ومقامي عالي التواصليّة، فغالبًا ما يُلحظ في أبنيتها اللغويّة تبادل كلامي بين ذاته الشاعرة المرسلة – التي مثّلت الذات الفلسطينيّة كثيرًا– وبين الآخر الموجه إليه الكلام/ الرسالة، الذي يستقبلها، ويملأ فراغاتها النصيّة، ويكمل إنتاج المعنى فيها محدثًا (ارتدادًا عكسيًّا)[١] لتلك الرسالة.

ولكي تحقق رسالة درويش الأدبيّة كفاية تواصليّة عاليّة؛ فإنه يفترض فيها وجود مرسل إليه، يستقبل هذه الرسالة، ويكمل بناء حلقتها الدائرية التي تبدأ من الرسالة ثم تعود إليها.

ففي بناء الرسالة الأدبيّة يراعي المرسل الوظائف الست لها، بحسب مقاماتها، ويُحسن توظيف وسائلها اللغويّة النصيّة: الداخليّة، والخارجيّة، كما يتعين عليه بناء حلقة الكلام ذات الشكل الدائري بحسب (سوسير) التي تتحقق من خلال افتراض وجود شخصين الأول يرسل، والآخر يكمل طرفا الدائرة[٢]، ولكل دائرة من رسائله وظيفة لغويّة بحسب مقاصد الشاعر، والنسق البنائي لها، والعلامات اللغوية المهيمنة في النص.

وقد تحقق هذا في نصوص الشاعر؛ إذ تشمل أكثر من وظيفة: شعريّة، أو تعبيريّة،

---

(١) الارتداد العكسي: هو تبادل كلامي بين متكلم محدث لملفوظه موجّه إلى متكلّم آخر، يتلقى الرسالة ويكمل إنتاج المعنى. للمزيد ينظر: يوسف تغزاوي، "استراتيجيات تدريس التواصل باللغة مقاربة لسانية تطبيقيّة"، (عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥م)، ١٥. وفي المبحث اللاحق تفصيل عن الارتداد العكسي، واستقبال نصوص القهوة والمقهى في تجربة الشاعر.

(٢) ينظر: فرديناند دي سوسير، "محاضرات في علم اللسان"، ٢٥.

أو تنبيهية، أو غيرها مما جعل دوائر الشاعر الكلامية عن القهوة والمقهى واسعة في مبناها، ووظائفها، وتلقيها. ومنها أحد نصوصه التي وظّف فيها المقهى مكانًا لبنيتها السرديّة، التي بنى فيها حوارًا بينه وبين ذاته والأنا التي تشعر بضياع هويتها، والتي تمثّل الأنا المشتركة للشعب كله. فقال محاورًا ذاته في قصيدة (هو هادئ وأنا كذلك)[١]:

هو هادئٌ وأنا كذلك
يحتسي شايًا بليمونٍ،
وأشرب قهوةً،
هذا هو الشيء المغاير بيننا
...
أفكر هل هو المرآة أبصر فيه نفسي؟
ثم أنظر نحو عينيه ولكن لا أراه
فأترك المقهى على عجلٍ.
أفكّر: ربما هو قاتلٌ، أو رُبما
هو عابر قد ظنَّ أني قاتلٌ
هو خائف، وأنا كذلك!

فالنص يجسّد صراع الأنا، وانشطار الهويّة في أرض فلسطين التي يعيش فيها الموت مجاورًا للحياة، والخوف مقابلًا للأمان، وكان المقهى في النص مكانًا لهذا الصراع، بين (هو) الضمير العائد على الأفكار والمخاوف والأسئلة والصراع، وبين الأنا الفلسطينية، والخاصية النصيّة للنص قائمة على الصور الحسيّة المدركة بالحواس الخمس "**يحتسي، أشرب، أطالع، لا يراني، الرائي والمرئي، أدندن...**" شكّلت هذه الصور المجسّدة

(١) محمود درويش، "الأعمال الجديدة الكاملة "١، ٩١.

للحالة الشعوريّة للشاعر في الزمن الآني، الحاضر سلسلة متعاقبة من الصور المثيرة لحواس المتلقي، والمعززة لاتصاله بها.

ورفع الشاعر درجة التواصلية في البينة النصيّة من خلال تكرار بعض البُنى اللغويّة، مثل: الضمائر، والأسئلة، والبنية التقابليّة الضديّة بين (هو) و(أنا الشاعر)؛ إذ شكّلت علامات مهيمنة في البنية النصيّة للنص، وعزّزت الوظيفتان الانفعاليّة، المعبّرة عن الذات الشاعرة وهمومها، والانتباهيّة الموجّهة لمتلقي النص الذي يريد أن يستثير شعوره بتلك الصورة التي تجمع بين المعنى وضده داخل الأنا الواحدة.

وفي مواضع متكررة يُلحظ أن محمود درويش يؤسس البنية النصيّة لنصوصه المصوّرة للقهوة أو المقاهي بالصلة بينها وبين (الجريدة)، وغالبًا ما يربط بينهما بالغربة، أو النفي؛ لتشكل تلك البُنى الثلاثة: (القهوة، والجريدة، والغربة) تفاعلًا نصيًّا داخليًّا، تشكّل المعنى الشعريّ، وتصنع وظيفة النص اللغوية، ومنه قوله في قصيدة (لم ينتظر أحدًا)[1]:

ولم يشعر بنقص في المكان،
المقعد الخشبي، قهوته، وكأس الماء
والغرباء، والأشياء في المقهى
كما هي،
والجرائد ذاتها: أخبار أمس، وعالمٌ
يطفو على القتلى كعادته/
ولم يشعر بحاجته إلى أمل ليؤنسه
كأنْ يخضوضر المجهول في الصحراء
أو يشتاق ذئب ما إلى جيتارةٍ،
لم ينتظر شيئًا، ولا حتى مفاجأة

(١) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد "، ٣٣.

فتأسست الخاصيّة اللغوية للنص على الفراغات النصية بين عددٍ من الدوال: "**المقعد الخشبي، قهوته، كأس الماء، الغرباء، الأشياء في المقهى، والجرائد**" التي كانت مؤثثات للمقهى في صورته من جهة، وعناصرَ لصورته الذهنيّة في زمنها الحاضر من جهة أخرى. والشاعر حاول من خلال البنية النصيّة للنص إيصال حالاته الشعورية (سيكولونصية) والبنى الاجتماعيّة المتضادة (سيسونصيّة) في واقعهم المعيش، فنقل إحساسه النفسي بالزمن النفسي الطويل في أحد مقاهي الغربة، ذلك الطول الذي جعله يتأمل في تفاصيله الصغيرة التي تُثير تخيّله؛ فتتعدى الصور من ذاكرته القويّة المتعلقة بالماضي. وكانت الجرائد –بصيغة الجمع– رمزًا للاتصال مع العالم بما تحويه من أخبار، وآراء، ومعلومات؛ لتخرجه من دائرة الوحدة إلى أفق التواصل مع الآخرين، ولكنها كانت رمزًا لغويًّا أحسن توظيفه لنقل الثنائيات الضديّة التي تكتظ بها أرض وطنه، فالموت أصبح ماءً يطفو على سطحه العالم، والحياة المخضرة أصبحت مجهولة، ومفقودة في صحراء الشقاء التي يحيون فيها، والغدر، والخيبة أفقدتهم حق الحياة الهانئة، فكانت النتيجة رفض الاتصال بالآخر، وتوجيه رسالة اليأس من ذاته إلى متلقٍّ ضمني يحاوره في النص " **ولم يشعر بحاجته إلى أمل ليؤنسه/ لم ينتظر شيئًا، ولا حتى مفاجأة**"، فحقق من خلال رسالته الشعرية تلك عدّة وظائف لغوية: الانفعاليّة المعبّرة عن ذاته المرسلة، ومشاعره وهمومه، والشعرية الأدبية، والانتباهيّة من خلال تكرار النفي الدالة على الخيبة، والإفهاميّة الموجّهة للمتلقي الذي يريد أن يفهم شعوره ويشاركه الإحساس بها، وفي سياق آخر كرّر الصلة بين العناصر الثلاثة: المقهى، والجريدة، الغربة قائلًا[١]:

مقهى وأنت مع الجريدة جالسٌ
لا، لست وحدك. نصف كأسك فارغٌ
والشمس تملأ نصفها الثاني

(١) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد "،٢٥.

...

مقهى، وأنت مع الجريدة جالس
في الركن منسيًّا، فلا أحد يهين
مزاجك الصافي،
ولا أحد يفكر باغتيالك
كم أنت منسي وحر في خيالك

فأصبحت علامات مهيمنة في البنية النصيّة في رسالته الأدبية معتمدًا التقنيات اللغويّة ذاتها لرفع درجات الوظائف التواصلية: الانفعالية، والانتباهيّة، والإفهاميّة، بالإضافة إلى الوظيفة الشعريّة، فأحسن التوظيف العكسي في بناء الحوار بين الشاعر وذاته، فهو المخبر عن ذاته "**مقهى وأنت مع الجريدة جالسٌ**"، وهو السائل ضمنيًّا سؤالًا محذوفًا تقديره (أكنت وحدك؟)، ثم يرتد لذاته مجيبًا: "**لا، لست وحدك**"، ثم يرفع درجة انتباه المتلقي الضمني بوصفه المدهش الانزياحي لكأس القهوة، فلم تكن كأسًا عاديّة، فـ"**نصف كأسك فارغٌ والشمس تملأ نصفها الثاني**" والشمس في هذا السياق خرجت من دائرة الدلالة المعجميّة إلى معانٍ غير مباشرة؛ لتدل على الحقيقة المطلقة، والحق الواضح للفلسطيني في أرض وطنه، والتي يتمسك بها، ويشربها يوميًّا كقهوته؛ ليُفهم المتلقي –من خلال رسالته الاحتجاجية هذه– مدى رفضه للاحتلال، ويحقق الكفاية الاتصاليّة بين المعنى الذي يريد إيصاله، والصورة المجسّدة له.

وليرفع الشاعر من درجة التواصليّة؛ عزّز الوظيفة الانتباهيّة لرسالته من خلال المفارقة بين الحريّة التي يُنعّم بها في المقهى، وفكرة الاغتيال، والقتل التي تلازمه؛ لأنه فلسطيني. وأيضًا من خلال الاستفهام التعجّبي " **كم أنت منسي وحر في خيالك**" المؤكد لدلالة المفارقة، جاعلًا منه خاتمة مفتوحة التأويلات لنصه.

وفي سياق آخر يؤسس بنية المقهى في رسالته الشعريّة، من خلال خاصية التفاعل

النصيّة ذاتها بين أهم بُنيتين: القهوة، والغربة؛ المجسّدة لحالاته الشعوريّة: الخوف، والقلق، والحنين، والأمل... والبُنى الاجتماعيّة المتضادة في واقعه. ومنه أحد نصوصه التي وظّف فيها صورة المقهى في أحد شوارع الغربة معادلًا موضوعيًّا لتجربة الحب المتأرجحة بين الوصل، والغياب. فقال في قصيدته (كمقهى صغير هو الحب)[١]:

كمقهى صغير على شارع الغرباء–
هو الحب .. يفتح أبوابه للجميع.
كمقهى يزيد وينقص وفق المناخ:
إذا هطل المطر ازداد رواده
وإذا اعتدل الجو قلّوا وملّوا
...
مقهى صغير هو الحب .. أطلب كأسي
نبيذٍ وأشرب نخبي ونخبك.

وأيضًا قوله[٢]:

نهايات هذا الممر الطويل على باب إحدى المدن
سأرمي مفكرتي في مقاهي الرصيف، سأجلس هذا الغياب
على مقعد فوق إحدى السفن

وفي مواضع عدة أحسن الشاعر تعزيز الوظيفة الانتباهيّة، بتوظيفه لبعض الرموز التراثيّة –لا سيما الدينية منها–؛ لاستثارة الهويّة، وصناعة خطاب ثوري غير مباشر يوجهه للمتلقي الفلسطيني أولًا، ثم العالم كله ثانيًا. ومن أبرزها ملحمته التاريخية (ملهاة

(١) محمود درويش، "ديوان كزهر اللوز أو أبعد "،٧٥.
(٢) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ٣، ديوان أرى ما أريد"، ١٨١.

النرجس، ملهاة الفضّة) التي استدعى فيها رموزًا تاريخيّة، ودينية، وسياسيّة شكّلت علامات فارقة في تاريخ العرب والمسلمين، ومن ذلك قوله[1]:

أتذكرون؟

أيام غربتنا هناك؟ ويرقصون على الحقائب ساخرين

من سيرة المنفى البعيد ومن بلاد سوف يهجرها الحنين

هل تذكرون حصار قرطاج الأخير؟
هل تذكرون سقوط صور
وممالك الإفرنج فوق الساحل السوري، والموت الكبير
في نهر دجلة عندما فاض الرماد على المدينة والعصور؟
"ها قد عدنا يا صلاح الدين"..
فابحث عن بنين.
كانوا يعيدون الحكاية من نهايتها إلى زمن الفكاهة
قد تدخل المأساة في الملهاة يوما
قد تدخل الملهاة في المأساة يوما...
في نرجس المأساة كانوا يسخرون
من فضة الملهاة، كانوا يسألون ويسألون:
ماذا سنحلم حين نعلم أن مريم امرأة؟
كانوا يشمون الحشائش وهي تفتح في الجدار ربيعها وجروحهم
وتعيدهم من كل منفى. لسعة القراص تشبه لسعة الأفعى

(١) المرجع نفسه، ٢١٩-٢٢٢.

ورائحة الحبق

هي قهوة المنفي... ممشى للعواطف حين تمشي في منزلها...

وصلنا

فالنص في أعلى درجات الاتصال اللغوي بين الشاعر، والمتلقي الضمني في النص، الذي يشاركه الحوار، والمتلقي خارج النص، الذي قدّم له صورةً حسيّة عن المشهد المحزن في وطنه، فكثّف الشاعر العناصر النّصيّة التي رفعت درجة الوظيفة الانتباهيّة في الرسالة الشعريّة، والإفهاميّة الموجّهة للمتلقي، فالأولى تشكّلت في التناص، والرموز التراثية، والقصص التاريخية التي تمثّل عناصرَ في الهُويّة الجمعيّة المشتركة للعرب والمسلمين، والتي امتلأ بها النص في محاولة منه لاستثارة هذه الهُوية، والذاكرة الإنسانيّة الإسلاميّة المليئة بالبطولات، والتي يرجو استحضارها في هذا السياق، وفي الواقع المعيش، وهذه التقنية تعد احتجاجًا ورفضًا يريد إيصاله لمتلقي هذا النص. ومن تلك الرموز والأحداث: حصار قرطاج، سقوط صور، ممالك الإفرنج، غزو المغول على نهر دجلة، فتح صلاح الدين للأقصى، مريم أم المسيح عليه السلام...، ثم يهز وجدان المتلقي بصورة حسيّة تجمع بين الموت والحياة:

كانوا يشمون الحشائش وهي تفتح في الجدار ربيعها وجروحهم

وتعيدهم من كل منفى. لسعة القراص تشبه لسعة الأفعى

ورائحة الحبق

هي قهوة المنفي... ممشى للعواطف حين تمشي في منزلها...

فالموت أضحى في أرضه مثل النباتات السامة (القراص) التي تنمو وسط حشائش الحياة المخضرّة، وهي تشبه لسعة الأفعى في سرعتها وقوتها، ثم يعطف على المشبه به بمعطوف حسي فيه انزياح تركيبي ودلالي "**ورائحة الحبق**"، ثم يتعبها بجملة خبرية لازمة الفائدة "**هي قهوة المنفى**"، فهي ضمير عائد على كل تلك الرموز اللغوية، والأبعاد

الدلاليّة التي جسّدت الثنائية الضدية (الموت/ الحياة، والمأساة/ الملهاة).

كما كرر الشاعر الاستفهام التعجبي الاستنكاري، أبرزها قوله: "**ماذا سنحلم حين نعلم أن مريم امرأة؟**" والمقابلة في بنية النص بين المعاني، والدوال، لتتأسس البنية الدلاليّة للنص على ثنائيات ضديّة: الموت/ الحياة، المأساة/ الملهاة، الرقص/ البكاء...

كل تلك التقنيات اللغويّة التي أعلى بها درجة شعريّة رسالته، وأثار انتباه متلقيها هدفها الأساس، ووظيفها الأولى (الإفهاميّة) فهي الوظيفة المهيمنة في الرسالة أكثر من سواها؛ إذ يريد أن يوصل إليه عمق المعاناة، والخطر التي يحيا فيه المسلم في أرض فلسطين؛ ليشاركه الإحساس في أرض قصيدته.

ويمكن القول بعد هذه الشواهد إنَّ محمود درويش أحسن توظيف القهوة أو المقهى بوصفهما علامتين لغويتين مهيمنتين في العديد من رسائله الأدبيّة، ووسع دائرتها الدلالية، فأخرجها من المعاني الأوليّة إلى المعاني الثواني، واقترن أكثرها بأبعاد اجتماعيّة، أو سياسيّة، أو إنسانيّة عامة، وقد تكون القهوة أو المقهى مفتتحًا لصورة شعريّة، أو نهاية لها، ولكن الأكثر يجعل منها بؤرةً مركزيّة يدور النص، وأبعاده الدلاليّة في دائرتها.

ومما رفع مستوى الوظيفة الشعريّة لهما إخراجه لها من دائرة اللغة الكبرى، أو الاستخدام الجمعي، والاجتماعي لدوال القهوة ومدلولاتها إلى دائرة الكلام الخاص، أو الاستخدام الفردي[1]، فـ"إذا كانت اللغة تعتمد على استثمار الكلمات، وتوظيفها من أجل بناء الجمل؛ فإنَّ الفكر أو بالأحرى "لغة" الفكر تعتمد على استثمار المفاهيم،

(١) ثنائية اللغة والكلام أبرز الأدوات التي استغلتها المناهج النقديّة لا سيما المنهج الأسلوبيّ؛ لتفسير العمليّة الإبداعيّة في ضوء اللغة الموظّفة على مستواها، وعلاقتها بالذهن وبحيّز الاستعمال. للمزيد ينظر: خيرة بن علوة، "ستر المعنى في ضوء القراءة العكسيّة للعلاقات الاستبداليّة"، (عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)،٦٩.

وأحيانًا على إبداعها من أجل بناء الأفكار"[١]، فاستطاع الشاعر بناء تراكيبه النسقيّة الخاصة للقهوة والمقهى، متجاوزًا الوظيفة التواصليّة الأوليّة/ الحياتية للكلام، أو تسمية الأشياء بأسمائها إلى وظائف لغويّة أوسع. فتضمّنت نصوصه الشعريّة عددًا من الوظائف اللغويّة الست في رسالته الشعريّة ذات الأبعاد السياقيّة الواسعة، تمر بمراحلَ أربع يمكن إيجازها في الآتي:

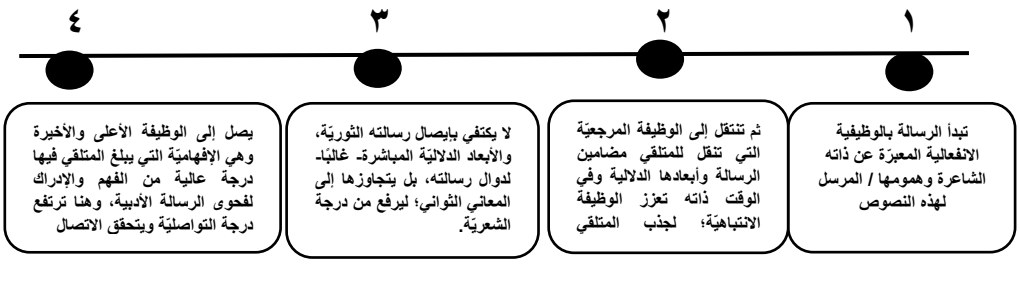

فالرسالة الشعريّة عند محمود درويش عامةً، ورسائل القهوة والمقاهي خاصةً لا تقف عند الوصف المباشر، أو البعد الذاتي للغة؛ لذا يلزم تجاوز دراسة لغة نصوصه في ذاتها، ولذاتها في هذا السياق، والنظر في البُنى التشكيلية، والدلاليّة للعلاقات الاستبداليّة والتوزيعية لدوال القهوة والمقهى مع بقية دوال النصوص الشعريّة، وفك وتركيب ثنائية هذه العلاقة؛ لاستكناه ما وراءها من وظائف لسانيّة، وسياقيّة.

فصنع محمود درويش شعريّةَ دوال القهوة، والمقهى في شعره من خلال تقاطع العلاقات الاستبداليّة بين الدوال ومدلولاتها الثواني، والتي تُدرك بالإيحاء والفهم بحسب المعرفة اللغويّة في الذاكرة الجمعيّة المشتركة، فهي علاقة اختياريّة/ غيابيّة يبنيها الشاعر بين الدال، ومدلوله خارج البناء اللغوي المحسوس/ الحاضر، "فالكلمات التي تشترك في

(١) فرانسوا ريكاناتي، تر: الحسين الزواي، "فلسفة اللغة والذهن"، (ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١٦م)، ١٠.

أمر ما ترتبط معًا في الذاكرة... فالارتباطات التي تقع خارج الحديث لا يدعمها التعاقب الخطي، ويكون مكانها الدماغ: فهي جزء من الذخيرة الداخليّة للغة التي يملكها كل متكلم"(١). فتنتج نصوصه دلالات شعريّة متعددة الاحتمالات، فالدلالة في الشعر تتأرجح بين عدّة احتمالات، ويبقى النص ملهمًا وقادرًا على الإيحاء والتأثير؛ لأن الرؤية الكلية التي يستند إليها الشاعر في نظرته للحياة ومفارقاتها حاضرة بقوة في العمل الشعري، ونحن نكتشف هذه الرؤية من خلال حركة السياق داخل النص(٢).

فصوّر محمود درويش –من خلال توزيع تلك العلاقات اللغويّة في رسالته الشعريّة– البعد الإدراكي لذاته الشاعرة، وعلاقتها بالعالم من حوله، والبُعد التشكيلي في علاقته مع نصوصه الشعريّة، واختياراته اللغويّة، والبُعد التأثيري الاتصالي الذي يربط نصوصه بمتلقيها(٣)، وتتشكل تلك العلاقات الإيحائية لمدلول القهوة والمقهى، من خلال العلاقات التركيبية البنائية في المحور الأفقي السياقي، المتقاطعة محور العلاقات الاستبداليّة الدلاليّة؛ فتتسع دائرة الدلالة وتصبح دالةً على معانٍ أكثر، بحسب السياقات المؤسسة لها، وبحسب درجة التأثير والتلقي لنصوصه.

(١) سوسير، "علم اللغة العام"، تر: يوئيل يوسف عزيز، (دار آفاق عربية: بغداد، ط١، ١٩٨٥م)، ١٤٢– ١٤٣.

(٢) ينظر: سامي عبد العزيز العجلان، "قمر في أقاصي الكلام – قراءات نقدية في الشعر السعودي المعاصر"، (دار أدب للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤٤هـ)، ١٦.

(٣) شعرية النص بحسب رأي القرطاجني، وكما شرحها جابر عصفور، تقوم على ثلاثة أبعاد: بُعد إدراكي، وبُعد تشكيلي، وبعد تأثيري. للمزيد ينظر: جابر عصفور، "مفهوم الشعر"، (دار التنوير، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م)، ١٥٩ وما بعدها.

المبحث الثالث: المتلقي، والارتداد العكسي

يعدُّ المتلقي/ المرسل إليه آخر عناصر الاتصال في أي رسالة، ومن دونه لا يتحقق، وتبقى الرسالة عند مرسلها دون استقبال وإدراك وتأثير. ويشغل المتلقي دورًا بارزًا في البنية اللغويّة والقصديّة في النصوص الشعريّة؛ لأنه كان حاضرًا –ضمنًا أو قصدًا– في ذهن المرسل أثناء صناعة رسالته، "وقد أشار اللغويون القدماء في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل، عند إنتاج خطابه؛ إذ أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي... ولم يقفوا عند هذا الأمر، بل أبرزوا دوره أيضًا في سياق الخطاب، وأثر ذلك على الخطاب تداوليًّا"(١).

كما أنَّ المتلقي جزء من السياق المقامي، وشريك للمبدع في صناعة الأبعاد الدلاليّة، وتوسيع دائرة المعنى، والأفق التأويلي من خلال فهم وإدراك سياق النص، والمشاركة في إكمال فراغاته، وكشف مغاليق معانيه، وهو ما يُسمى في الخطاب النقدي بمسافة التوتر، أو الفجوة، "وهو الفضاء الذي تُشكّل فيه بنية من العلاقات المتشابكة بين النص والمتلقي. هذا الفضاء هو أيضًا تجسيد للفجوة، مشحون بها، مشغول بها"(٢)، فنجاح الاتصال في النصوص الشعريّة، وإعلاء درجة تواصليتها مرهون بدرجة كبيرة بفهم المتلقي لمقاصد النص، والتفاعل معها.

وقسّم النقاد إستراتيجية اتصال المتلقي وتفاعله مع النصوص إلى نوعين(٣):

- **الاتصال المتعادل بين النص والقارئ.**
- **الاتصال المنحرف بين النص والقارئ.**

---

(١) عبد الهادي الشهري، "استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة"، (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م)، ٤٧.

(٢) كمال أبو ديب، "في الشعريّة"، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م)، ٨٣.

(٣) ينظر: مراد مبروك، "من صوت الذات إلى سلطة النص"، ١٧٥.

الأول وهو ما يبتغيه الشاعر، ويتحقق من خلال فهم وإدراك متسق مع السياق اللغوي والمقامي للنص، يمكّن المتلقي من إكمال فراغاته، وتأويل دلالاته دون انحراف عن المقاصد الكبرى، والرئيسة التي أرادها الشاعر. أما الثاني فهو سلبي، "وأسبابه عدم إدراك القارئ لفهم النص، وانعدام السياق الضابط بين النص والقارئ"(١).

ويعدُّ هذا الاتصال بنوعيه ارتدادًا عكسيًّا، وقد انقسم إلى قسمين:

مباشر: ويعدُّ اتصالًا أوليًّا، يتحقق في النصوص ذات الدلالة القُربى إلى المباشرة، والتي تكون مدركة عند المتلقي العادي، ولا تحتاج إلى تأويل، أو فك وتركيب في البنى اللغويّة؛ للكشف عن البُعد الدلاليّ العميق في النص، بل غالبًا ما تكون مدركة إدراكًا أوليًّا، وكثيرًا ما يكون هذا النوع من الارتداد التواصلي في النصوص التي تُعبّر عن المجتمع، وتجسّد مشاعرَ مشتركة بين أفراده، فتردّد في هذه المجتمعات، ويتغنى بها، وتصبح شعارات في بعض خطبه، وأماكنه. ومنها قوله(٢):

أحنُّ إلى خبز أُمي
وقهوةِ أُمي
ولمسةِ أمي....
وتكبرُ فيّ الطفولةُ
يوماً على صدر يومِ
وأعشق عمري لأني
إذا مُتُّ،
أخجل من دمع أُمي!

وقوله:

(١) ينظر: مراد مبروك،" من صوت الذات إلى سلطة النص"، ١٩٧.

(٢) محمود درويش، "الديوان، الأعمال الأولى ١، ديوان عاشق من فلسطين"، ١٠٦.

مقهى وأنت مع الجريدة جالسٌ
لا. لست وحدك. نصف كأسك فارغٌ
والشّمس تملأ نصفها الثاني ...

وهذا النوع من الارتداد العكسي يبدأ أولًا من الدهشة التي يحققها النص في نفس متلقيه، ثم من القدرة الكفاية على التعبير عن مشترك جمعي مثل الوحدة، والألم، والحنين للأم والوطن، والشعور بالاغتراب...، وهذا النوع من التلقي الأكثر تداوليًّا لنصوصه، فالمتلقي العادي يفهم المعنى، والدلالة السطحيّة، وتصله رسالة الشاعر ومقصده. والمتلقي في هذا الاتصال المباشر يكون مندهشًا ومستمتعًا، وليس منتجًا، أو مكملًا لفراغات النص، بل يحافظ على البنية اللغوية لها، ويردّدها في شعاراته الثوريّة، أو يكتبها في جدران مقاهيه، ومؤثثاتها.

– **غير مباشر**: ويُعدُّ اتصالًا ثانويًّا؛ إذ ينتقل المتلقي هنا إلى مرحلة لاحقة، وأكثر عمقًا؛ إذ يتجاوز الاتصال المباشر بسطح النص إلى عمقه الدلالي، ويكون منتجًا، ومشاركًا في إكمال فراغات النص، وهذا النوع يتحقق في الدراسات النقديّة، والمقالات الأدبيّة، أو الثقافيّة، أو السياسيّة. وهذا النوع من الارتداد يناسب النصوص التي تتعدّد وظائفها اللغويّة، فلا تقتصر على الوظيفة التواصلية المباشرة، وتكون الوظيفة الشعريّة مهيمنة على ما سواها من وظائف، فالنصوص التي تضم رموزًا لغويّة، أو تراثية، وتتجاوز المعاني المباشرة للدوال للقهوة والمقهى إلى الضمنية غير المباشرة؛ تحتاج إلى وسيط بينها وبين المتلقي العادي، وهو الناقد، وقد ساعد على تحقيق الوظائف الاتصالية بكفاية عالية في هذا النوع أن الوسيلة الاتصالية لنصوص الشاعر عن القهوة والمقهى كلها كانت مكتوبة، ومطبوعة في دواوين؛ مما يقلل فرص التشويش في استقبال نصوصه، كما لو كانت شفاهيّة، أو منقولة عبر وسيط أقل كفايةً.

ويدخل فيها كل المقالات والدراسات النقديّة التي كُتبت عن القهوة والمقهى في

شعر محمود درويش، ومنها هذه الدراسة، ومنها أيضًا:

م	الدراسة	الأبعاد والوظائف اللغوية التي ركزت عليها
١	**القهوة وأبعادها الوجودية في شعر محمود درويش**. مقالة مكونة من ٩٣٣ كلمة كتبها كريم الطيبي، نشرها في ١٠ أغسطس ٢٠١٦م في موقع ثقافات الشبكي التابع لوزارة الثقافة الأردنية. **https://thaqafat.com/2016/08/61315**	تناول الأبعاد الدلالية للقهوة في شعره، ومكانتها، وطقوسها اليومية في حياته، وخلصت المقالة إلى نتيجة مفادها أن القهوة ارتبطت عند محمود درويش بالعزلة والوحدة، ولا شك في أن هذه المعاني تتواشج مع صفاتٍ نفسية أخرى تسببت فيها الاضطرابات الوجودية التي رافقت حياة الشاعر.
٢	**القهوة في شعر محمود درويش: دراسة دلالية**. بحث مشترك منشور في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها عام ٢٠٢٠م. والبحث مكون من ٢٢ صفحة نشرت في العدد ٥٣ في تخصص الآداب. https://cutt.us/cZlBl	لم يتسنَّ الحصول على نسخة من البحث، ولكن يبدو من عنوانه، واختصاصه أنه يركز على السياق الدلالي لنماذج مختارة من شعر الشاعر، وليس كله؛ لأن الشواهد الشعريّة في كل شعره أكثر من صفحات البحث بكثير.
٣	**قصيدة سرحان يشرب القهوة لمحمود درويش: دراسة دلالية**، مقالة علمية مكوّنة من ٣ صفحات. نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية في ماليزيا لـ د. نور الحنيلة عصمت. وهي أستاذة في قسم اللغة العربية في الجامعة. http://irep.iium.edu.my/94810/	المقالة من شواهد تلقي شعرية القهوة من الناطقين بالعربية لغةً ثانية، وهذا يدل على ارتفاع درجة التواصلية بين الشاعر/ المرسل، والمتلقين؛ لتحقق درجة عالية من الكفاية اللغوية في نصوصه التي منعت التشويش.

والمتأمل في نصوص محمود درويش عامة، وشعريّة القهوة والمقهى خاصة، يلحظ أن بنيتها اللغويّة ذات طابع سردي حكائي، لصورة كليّة مبنية على حوار ضمني، أو مباشر بين الذات الشاعرة ومتلقٍ لها كان حاضرًا في ذهن الشاعر أثناء صناعة نصوصه، وجعله شريكًا له في المبنى الحواري في تلك المقاهي المصوّرة. هذا المتلقي هو ما سماه (آيزر) القارئ الضمني، وهو الذي لا يقف عند حدود الفهم للمعنى المختبئ في النص، بل يتجاوزه للمعنى الذي ينشأ نتيجة التفاعل بين القارئ والنص، أي المعنى بوصفه أثرًا يمكن ممارسته، وليس موضوعًا يمكن تحديده، وهذا التفاعل بين النص والقارئ وقدرته على إنتاج المعنى هو أساس نظرية الاتصال، وبنية الأدب الإبلاغية(١).

(١) ينظر، روبرت هولب، "نظرية التلقي"، ١٨-١٩.

وقد تجسّد حضور هذا المتلقي المباشر القصدي، أو الضمني من خلال الضمائر المتصلة، أو المنفصلة العائدة على متلقٍّ متكرر في أكثر نصوصه، وهو الفلسطيني في وطنه، الذي يقاسي الحروب، والاحتلال، والفقد، وخارج وطنه الذي يعاني الغربة، والحنين؛ ولأن محمود درويش كان هذا الفلسطيني في مراحل عدة من حياته، فرضتها عليه ما ذكرناها في المبحث الأول، فإنّه أول المتلقين لنصوصه، والحاضرين فيها ضمنًا، وتصريحًا، فكانت ذات بُعد ذاتي في المقام الأول، ويعدُ أول مفاتيح وإستراتيجيات تلقّي نصوصه.

ويمكن إيجاز بعض أنماط عناصر الاتصال الأربعة: المخاطِب، والمخاطَب، والرسالة، والسياق في بعض نصوصه –والتي تكشف الأبعاد الثلاثة الرئيسة: البعد الإدراكي الذي يربط الشاعر بالعالم، والبعد التشكيلي الذي يصوّر علاقته بالعمل، والتأثيري الجامع بين النص والمتلقي– في الجدول الآتي:

المرسل/ المخاطِب	المرسل إليه/ المخاطَب	سياق النص	النص الذي وردت فيه
الأنا الشاعرة حاضرة بضمير منفصل (نحن) عائد على المشترك الجمعي لكل الفنانين في بلده، ذوي الحس المرهف تجاهه	الذات الفلسطينية الجمعيّة التي تقاسي الاحتلال	الحب- الانتماء للوطن- الاغتراب المقاومة والرفض	– لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي – في مركب على النيل
الذات الشاعرة المغتربة	الفلسطيني، الفاقد لصديقه في أرض وطنه	صراع الخلود، والموت فالحياة في الوطن المليئة بالموت، والغربة عنه مكتظة بالحياة دون أنيس	– فاكهة الخلود
الذات الشاعرة المحبة	المرأة	الحب/ الرغبة	– حوض خزامى – كمقهى صغير هو الحب
الذات الشاعرة المغتربة	أنا الشاعر	الحنين للوطن، والتفكير الوجودي في بدايات الحياة ونهاياتها	– حياة مبتدئة – مقهى وأنت مع الجريدة – لم ينتظر أحدًا – هو هادئٌ وأنا كذلك – رباعيات – تأملات سريعة في مدينة قديمة وجميلة – قصيدة بيروت
الذات الشاعرة المغتربة	شعراء بيروت الحداثيون	سياق الحرب والعبث الذي طال بيروت	– في بيروت
الذات الشاعرة	الفلسطيني الذي يشعر بغربة عن الذات في وطنه	سياق الترقب والقلق من غارات الحرب في وطنه	– في البيت أجلس – متتاليات لزمن آخر – تأملات سريعة
الذات الشاعرة العائدة على كل الفلسطينيين	كل العالم	الرفض للاحتلال، والرغبة في السلام	– سنونو التتار – نزل على البحر
الذات الشاعرة التي تقاوم الاغتيال	العدو	الاغتيال والحرب	– يعانق قاتله

المرسل/ المخاطِب	المرسل إليه/ المخاطَب	سياق النص	النص الذي وردت فيه
الشاعر المسجون	الأحباب والأصدقاء خارج السجن	رفض الاحتلال والحنين للحرية	– أربعة عناوين شخصية – اللقاء الأخير في روما
الذات الشاعرة	الفلسطيني الشهيد	مقاومة الموت	– سنة أخرى فقط – الحوار الأخير في باريس (لذكرى عز الدين قلق)

وتبقى دلالات هذه النصوص بحسب سياقاتها، وبقية عناصر اتصالها، رسالةً غامضة (Message ambigu) على حد قول (أمبرطوإيكو)؛ إذ يُقرُّ أنَّ النص ينتج اعتمادًا على تعاون المؤلف والقارئ، وهو منفتح على مجموعة لا نهائية من التأويلات، فالنص مفتوح، ولا يقتصر دور القارئ على التلقي الانفعالي، ولكنه يتجاوزه ليمارس دورًا إبداعيًّا وتأويليًّا[١].

(١) ينظر: خديجة غفيري، "سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي"، (أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠١٢م)، ٢٧ بتصرّف.

الخاتمة

أولًا: شكّلت القهوة والمقهى علامتين لغويتين مهيمنتين في شعر محمود درويش، منذ دواوينه الأولى إلى الأعمال الأخيرة، وأحسن الشاعر توظيف البُعد الاجتماعي لهما، بوصفهما رمزين لمشاركة الأحاديث، واستقبال الأهل والصحب، وأحد مكونات الصباح المنعّم، الآمن، المستقر.

ثانيًا: أسهمت السياقات غير اللغويّة –خارج النص– في صناعة البنية اللغوية لنصوصه، ورؤيته الشعرية الخاصة للقهوة والمقهى، فعكست تلك السياقات من جهة، ورفعت درجة الكفاية الاتصالية بينه، وبين المحيط الاجتماعي، والسياسي، والثقافي؛ لأنها كانت أبرز منابع الصور التصوريّة لها، ثم عادت إليها في بنية شعريّة ذات كفاية اتصاليّة عالية، وكانت الصور السمعيّة، والبصريّة، والاسترجاعيّة الاستذكاريّة التي كانت أساسًا للإدراك والوعي أولًا، ثم الشعري.

ثالثًا: كَثُر توظيف محمود درويش للقهوة والمقهى في شعره توظيفًا رمزيًّا؛ ففنجان القهوة، وأماكن شربها موظفة في بنية تواصليّة أدبيّة عالية، كانت شكلًا من أشكال التواصل اللغوي غير العادي، فهي وسيلة لغويّة شعريّة لرسالة اجتماعية، أو سياسية، أو ثقافيّة، أو كلها معًا –وهذا الأكثر– أراد إيصالها للمتلقي الضمني في نصوصه من جهة، أو المتلقي خارجها.

رابعًا: حققت شعرية القهوة والمقهى في شعر الشاعر درجةً عاليةً من الاتصال الأدبي، تجلّى في نوعين من التلقي، والارتداد العكسي: المباشر، وهو الأكثر، ومنه ما يتحقق في الاتصال الإنساني العام بين الشاعر، والأوساط الشعبية في وطنه، أو الإنسانية عامةً خارجها؛ إذ أصبحت بعض نصوصه عن القهوة والمقهى شعارات تُردّد لدى المتلقين غير المتخصصين في اللغة، أو نقدها، وتحليل خطابتها؛ مما يؤكد أن الرسالة الشعريّة لهما نجحت في رفع درجة الكفاية

الاتصالية. وآخر غير مباشر، وهو الأقل تجلى في الدراسات اللغويّة لنصوصه الشعريّة عن القهوة والمقهى، ومنها هذا البحث.

خامسًا: لوحظ أنَّ الرسالة الشعريّة للقهوة أو المقهى في نصوص محمود درويش تبدأ من ذاته الشاعرة، إلى الآخر، ولم يوظف في كل نصوصه مرسلًا غيره، فالقهوة قهوته، والمقهى ما كان يجلس فيه هو، وكلامهما رمزان لذكرياته، وانتماءاته، ثم ينطلق منها إلى فضاءات دلالية أرحب.

سادسًا: لوحظ أن القهوة والمقاهي في شعره كانت وسائلَ اتصال رمزيّة، تربطه بأهله، بدءًا بأمه، ثم الأصدقاء، وصولًا إلى كل وطنه فلسطين، لا سيما في سياقات الغياب، والفقد، والاغتراب، وفي هذا دلالة على أن القهوة، ومقاهيها تحتل مكانةً اجتماعيّة اتصاليّة في ثقافة الشاعر.

سابعًا: ضمّت الرسائل الشعريّة للقهوة، والمقهى في شعره وظائفَ لغويّة عدة، تبدأ منه بوصفه المرسل، وهي الوظيفة الانفعاليّة، أو التعبيريّة، إلى المتلقي في دورها الإفهامي، عبر الوظيفة المرجعيّة حينًا، والشعريّة حينًا آخر، وقد تحققت تلك الوظائف الاتصاليّة في المبنى النصي للرسالة الشعريّة من خلال بعض التقنيات اللغويّة، مثل: ضمائر الخطاب، والأسئلة، والنفي، والطباق، والفراغات النصيّة بين بعض الدوال؛ ليرفع درجة الانتباهيّة لدى المتلقي، ويحفزه على التفاعل معها، والارتداد العكسي لها.

المصادر والمراجع

المصادر:

درويش، محمود:

الأعمال الجديدة الكاملة ١، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٩م.

ديوان أثر الفراشة، يوميات، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط٢، ٢٠٠٩م.

ديوان كزهر اللوز أو أبعد، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

ديوان لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٩م.

الديوان، الأعمال الأولى ١، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

الديوان، الأعمال الأولى ٢، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

الديوان، الأعمال الأولى ٣، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

المراجع:

أبو ديب، كمال، **في الشعريّة**، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، ١٩٨٧م

الأهدل، ماجد عدنان، **ديوان القهوة شعر قهوة البن من القرن التاسع الهجري**، الكويت: دار صوفيا، ٢٠٢٢م.

أيوب، نبيل، **النقد النّصي وتحليل الخطاب نظريات ومقاربات**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠١١م.

بن علوة، خيرة، **ستر المعنى في ضوء القراءة العكسيّة للعلاقات الاستبداليّة**، عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

تزفيطان تودروف، تر: عبد الرحمن بو علي، **نظريّة الأجناس الأدبيّة دراسة في التناص**

والكتابة والنقد، دمشق: دار نينوى، ٢٠١٦م.

توفيق الزيدي، **أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث**، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

ثغزاوي، يوسف، **إستراتيجيات تدريس التواصل باللغة مقاربة لسانية تطبيقيّة**، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٥م.

الجباري، مشهور عبد الرحمن، **شعر القهوة البن في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، دراسة موضوعية**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع١، ٢٠٠٢م.

رمضان، صالح، **التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية**، الدار البيضاء/ الرياض: المركز الثقافي العربي/ نادي الرياض الأدبي، ط١، ٢٠١٥م.

روبرت هولب، تر: عز الدين إسماعيل، **نظرية التلقي**، جدة: نادي جدة الأدبي الثقافي، ط١، ١٩٩٤م.

رومان جاكبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، **قضايا الشعرية**: الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط،١، ١٩٨٨م.

سعيد، إدوارد، تر: محمد عصفور، **العالم والنّص والناقد**، بيروت: دار الآداب، ط١، ٢٠١٧م.

سوسير، **علم اللغة العام**، تر: يوئيل يوسف عزيز، بغداد: دار آفاق عربية، ط١، ١٩٨٥م.

الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليّة، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

الطيبي، كريم، **القهوة وأبعادها الوجودية في شعر محمود درويش**، مقالة منشورة في موقع ثقافات الشبكي التابع لوزارة الثقافة الأردنية،**https://thaqafat.com/2016/08/61315**تاريخ زيارة الموقع ١/ ٤/ ١٤٤٥هـ.

العجلان، سامي عبد العزيز، **قمر في أقاصي الكلام**، الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٤٤هـ.

عصفور، جابر، **مفهوم الشعر**، بيروت: دار التنوير، ط٣، ١٩٨٣م.

عصفور، جابر، **نظريات معاصرة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

عصمت، نور الحنيلة، **قصيدة سرحان يشرب القهوة لمحمود درويش: دراسة دلالية**، مجلة الجامعة الإسلامية في ماليزيا. **http://irep.iium.edu.my/94810/** تاريخ زيارة الموقع ١/ ٤/ ١٤٤٥هـ.

غفيري، خديجة، **سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي**، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط١، ٢٠١٢م.

فرانسوا ريكاناتي، تر: الحسين الزواي، **فلسفة اللغة والذهن**، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م.

فرديناند دي سوسير، تر: عبد القادر قنيني، **محاضرات في علم اللسان**، المغرب: أفريقيا الشرق، ط٣، ٢٠١٦م.

كشاورزي، كريم، وآخرون، **القهوة في شعر محمود درويش: دراسة دلالية**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها عام ٢٠٢٠م، ع ٥٣. **https://cutt.us/cZlBl** تاريخ زيارة الموقع ١/ ٤/ ١٤٤٥هـ.

لطفي، مصطفى، **اللغة العربية في إطارها الاجتماعي**، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦م.

مبروك، **مراد، من صوت الذات إلى سلطة النص**، القاهرة/ نادي نجران الأدبي: أروقة للدراسات والترجمة، ط١، ٢٠١٤م.

محمود، جودت شاكر، الاتصال في علم النفس، عمان: دار صفاء، ط١، ١٤٣٤هـ.

معيكل، أسماء، **الأفق المفتوح نظرية التوصيل الروائي المعاصر**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٣م.

النقاش، رجاء، **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة**، القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط١، ٢٠١١م.

Bibliography

Abu Deeb, Kamal. "On poetics" (in Arabic) (1st ed.). Beirut: Mu'assasat al-Abhath al-'Arabiyyah, 1987.

Al-Ahdal, Majed Adnan. "The diwan of coffee: coffee poetry from the 9th century hijra", (in Arabic) (1st ed.). Kuwait: Dar Sufiya, 2022.

Al-Ajlan, Sami Abdulaziz. "A Moon in the Farthest Reaches of Speech" (in Arabic). 1st ed. Riyadh: Adab Publishing and Distribution, 2023.

Al-Jibari, Mashhur Abdulrahman. "Coffee Poetry by Ibn in the 10th Hijri/16th Century, A Thematic Study" (in Arabic). Journal of Al-Quds Open University for Research in Humanities and Social Sciences, issue 1, 2002.

Al-Naqqash, Raja. "Mahmoud Darwish, Poet of the Occupied Land" (in Arabic). 1st ed. Cairo: Atlas for Publishing and Media Production, 2011.

Al-Shehri, Abdulhadi. "Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach" (in Arabic). 1st ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahidah, 2004.

Altaybi, Karim. "Coffee and Its Existential Dimensions in Mahmoud Darwish's Poetry" (in Arabic). Article published on Thaqafat website, affiliated with the Jordanian Ministry of Culture. https://thaqafat.com/2016/08/61315. Accessed April 1, 2024

Asfour, Jabir. "Contemporary Theories" (in Arabic). Cairo: Egyptian General Book Organization, 1998.

Asfour, Jabir. "The Concept of Poetry" (in Arabic). 3rd ed. Beirut: Dar Al-Tanwir, 1983.

Ayyub, Nabil. "Textual Criticism and Discourse Analysis: Theories and Approaches" (in Arabic). (1st ed.). Beirut: Maktabat Lubnan Nashirun, 2011.

Bin Alwah, Khaira. "Concealing Meaning in Light of the Inverse Reading of Substitutional Relations" (in Arabic), (1st ed.). Amman: Al-Waraq Publishing and Distribution. 2014.

Darwish, Mahmoud. "The complete new works" (in Arabic), (1st ed.). Beirut: Riyadh al-Rayyes Books, 2009.

Darwish, Mahmoud. "As far as almond blossoms or beyond" (in Arabic), (1st ed.). Beirut: Riyadh al-Rayyes Books, 2005.

Darwish, Mahmoud. "I don't want this poem to end" (in Arabic), (1st ed.). Beirut: Riyadh al-Rayyes Books, 2009.

Darwish, Mahmoud. "The butterfly effect, diaries diwan" (in Arabic), (2nd ed.). Riyadh al-Rayes Books and Publishing, 2009.

Darwish, Mahmoud. 'The Diwan: the early works" (in Arabic) (Vols. 1-3). Beirut: Riyadh al-Rayyes Books, 2005.

DE SAUSSURE, Ferdinand. "Writings in general linguistics" (in Arabic). Oxford University Press, 2006.

Francois, Recanati. "Philosophy of language and of the mind" (in Arabic), Gallimard, 2008.

Ghafiri, Khadijah. "The Authority of Language between the Acts of Authoring and Receiving" (in Arabic). 1st ed. Casablanca: Africa East, 2012.

Holub, Robert. "Reception theory" (in Arabic). Routledge, 2013.

Ismath, Nurul Hanilah Mohd, "Mahmoud Darwish's Poem "Sarhan Drinks Coffee": A Semantic Study". Journal of the International Islamic University Malaysia, issue. 13 (2021): 117-121.

Jakobson, Roman. "Linguistics and Poetics" (in Arabic) In Style in Language, edited by Thomas A. Sebeok, 350-377. Cambridge, MA: MIT Press, 1960.

Keshavarz, Karim. "Coffee in Mahmoud Darwish's Poetry: A Semantic Study" (in Arabic). Iranian Scientific Association for Arabic Language and Literature Journal, no. 53, 2020.

Lutfi, Mustafa. "The Arabic Language in Its Social Context" (in Arabic). Beirut: Arab Development Institute, 1976.

Mabrouk, Murad. "From the Voice of the Self to the Authority of the Text" (in Arabic). 1st ed. Cairo/Najran Literary Club: Arwiqa for Studies and Translation, 2014.

Mahmoud, Jawdat Shakɔr. "Communication in Psychology" (in Arabic). 1st ed. Amman: Dar Safa, 2013.

Muʿayqil, Asma'. "The Open Horizon: The Theory of Contemporary Narrative Communication" (in Arabic). 1st ed. Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing, 2013.

Ramadan, Salih. "Literary Communication from Pragmatics to Cognition" (in Arabic). 1st ed. Casablanca/Riyadh: Arab Cultural

Center/Riyadh Literary Club, 2015.

Saʿīd, Edward. "The world, the text, and the critic" (in Arabic). Harvard University Press, 1983.

Saussure, Ferdinand de. "Lectures on General Linguistics" (in Arabic). (3rd ed). Morocco: Africa East, 2016.

Thaghrawi, Yusuf. "Strategies for Teaching Communication in Language: An Applied Linguistic Approach" (in Arabic). 1st ed. Jordan: Alam Al-Kutub Al-Hadith, 2015.

Todorov, Tzvetan. "The Theory of Literary Genres: A Study in Intertextuality, Writing, and Criticism" (in Arabic). Dar Ninawa, 2016.

Zaydi, Tawfiq. "The Impact of Linguistics on Modern Arabic Criticism" (in Arabic). Dar Al-Arabiya Lil-Kitab, 1984.

١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Apr - Jun
2024

Issue
12